

من أن يجد بصيصاً من نور يخترق هذا الظلام الدامس خطوة بخطوة، لولا طائفة من فحول العلماء الذين توسموا وتفظنوا لهذا الخطر الداهم، فغرموا على الصمود ضد الضُغط، ووقفوا في وجه هذا الطوفان، ولم يلبشوا أن لمسوا حاجة إلى تشكيل هيئة مشتركة للمدارس الدينية؛ كي يتمكنوا من رفع عقيرة دفاعية من صعيد موحد ضد المؤامرات الحكومية، وبالتالي فأنشأوا هيئة تعليمية، أسموها: "وفاق المدارس العربية بباكستان"، وذلك في عام ١٩٥٨ المسيحي. فأبى الله إلا أن يرد كيد عدو الإسلام في نحره.

وتشمل الأهداف التي من جرائها تم إنشاء هيئة الوفاق: جمع المدارس المنتشرة على مستوى الدولة تحت منهج دراسي موحد، وتنسيقها بحسن نظام وترتيب، وتنظيم الاختبارات وتليتها منح الشهادات للمرشحين الفائزين، والقيام بتعديلات مفيدة وإدخال تحسينات مُجدية في المناهج الدراسية من حين لآخر - حسب متطلبات العصر الحديث ومستجداته، وإيقاف حملات تضليل وتشويه شائعة ضد المدارس والرد عليها بغلظة، وإفضاح المؤامرات والمكيدات المحيكة ضدها وإسقاطها بكل إمكاناتها وعلى نطاق واسع.

وكان عملها - بادئ ذي بدء - يبطئ وعلى مهل؛ حيث إن عمل الاختبار لم يعد ينتظم إلا في عام ١٩٦٠ المسيحي، كما أن البداية كانت ضيقة النطاق بكل ما تعنيه الكلمة؛ بما أن الاختبار الذي نظمته الوفاق تحت إشرافه بدءاً ببدء لم يشمل إلا المرحلة العالمية. وتم انعقاد الاختبار الذي شارك فيه زهاء مئة طالب في سبعة مراكز.

وفي ١٩٨٣م وفق لمسؤولي الوفاق أن يوسعوا نطاق الاختبارات - بعد أن لم يزل متسماً بالضيق إلى برهة غير قصيرة أكثر من عشرين عاماً - إلى المراحل الدراسية الأخرى، ولكن لادفعة واحدة بل على مهل وببطء. حيث ربطوا إلى سلسلة الاختبارات: الثانوية الخاصة في ١٩٨٣م، والثانوية العامة في ١٩٨٤م، والمرحلة العالية في ١٩٨٥م، والمرحلة المتوسطة في ١٩٨٩م، وفي ١٩٨٩م اتجهت عنايتهم إلى مدارس البنات اتجاهاً صحيحاً، اعتبر خطوة تُجَاه التطور في ميقاتها، حيث حازوها إلى دائرية الوفاق بإجراء اختبارات تحت إشرافه. ومنذ هذه السنة أضحت هيئة الوفاق تُجري كل عام تسعة اختبارات، بما فيها أربعة للبنات، علاوة على اختبار تحفيظ القرآن الكريم.

وهناك ملاحظة طريفة تجدرُ بالثناء فعلاً، وهي: أن هذه الاختبارات برمتها يتم انعقادها بدءاً ونهايتها في جميع مقاطعات البلد بالإضافة إلى كشمير المستقلة في ميعاد موحد، لا تتقدم ولا تتأخر. ومن البنات الأولى التي منها أسس بناء الوفاق وعليها قام صرحه العالي المنيف: سعادة الشيخ شمس الحق الأفغاني^٢، وفضيلة الشيخ خير محمد^٣، وفخامة الشيخ محمد يوسف البُوري^٤، وسيادة الشيخ المفتي محمود^٥، وقداصة الشيخ إدريس الميرتي^٦... وقد تناوب كلهم رئاسة الوفاق واحداً إثر واحد. وهؤلاء الأعلام الجهابذة قلدوا ببجود مضنية لتطوير الوفاق ليل نهار، مضحين بكل مرتخص وغالي في سبيل المحافظة على المدارس الدينية وعلى الفضيلة وعلى العزة، مستيقنين أن القيام بالواجب هو أسنى المطالب، لا سيما الشيخ المفتي محمود^٥؛ فإنه مازال مرتبطاً بالوفاق عند تأسيسه - إلى يوم أسعده الله بجواره - انتخب

أول ما انتخب - أميناً عاماً للوفاق، ثم رئيساً له. وهو الشيخ إدريس الميرتي الذي مفتي يرأسه في عمله، قد بدلا - في مبدأ الأمر - عوناً كبيراً وعناية تامة في إنفاذ الوفاق وتنسيقه وتوطيده هيكله الأساسي. وليس من شك أن الشيخ المفتي محمود أقد أسدى إلى الوفاق خدمات جليلة مشكورة لا تكاد تنسى، ولكن بعد برهة من الزمن ومن سوء الحظ شاءت الأقدار أن دخل معترك السياسة الوطنية التي حالت دون توجيه عنايته إلى الوفاق؛ فلم يعد يتسع له وقت يسهر فيه على سيره ونظمه وتطويره، بيد أن الأمر ظل يسير تحت إشراف كبار العلماء - بين البطة والإسراع، وشبه منتظم إذا تحررنا أن نقول: في غير انتظام.

وفي ٣٠ نوفمبر - تشرين الثاني من عام ١٩٨٠م - بعد أن انقلب الشيخ المفتي محمود إلى كرامة الله وعفوه - انتخب سيادة الشيخ سليم الله خان أميناً عاماً للوفاق، وبعد ثمانية أعوام تقريباً في سنة ١٩٨٨م - تم أن عُيِّن رئيساً له.

وهو ما يزال يتسم برأسة الوفاق. أطال الله بقاءه في صحة وعافية، وأكثر مفاخره ومآثره. والشيخ - منذ ما ارتبط بالوفاق - قد عني به عناية خاصة واتجه اهتمامه أكثر ما توجه إلى تنمية الوفاق وتوسيع دائرته وتنظيمه، بدلاً في هذا السبيل كل نفيس بدون كسل ولا سامة. واتخذ جميع الوسائل الكفيلة بتحقيق الأغراض التي من أجلها أنشئ الوفاق. وتحقيقاً لهذه الأهداف قد كرس جهوداً جبارة متواصلة على توالي الأوقات وتعاقب الساعات ليل نهار.

فلم نعد الحق ولا نرتكب الشطط إذا قلنا: إن الفضل في تطوير الوفاق وتنظيمه من جديد وتوسيع نطاقه يعود على الشيخ سليم الله خان. والحق يقال: إنه هو الذي نفخ الحياة في هيكله، وأنفذه من السقوط والفشل بعد أن كان على وشك الانهيار، وانتهى إلى شفا جرف هار. ولا غرابة في ذلك؛ فإنه رجل بمنايا عن معارك السياسة وبنجوة من شغور ذاتها، رجل تفرغ للعلم أياً تفرغ، وذو ولع به وخبرة واسعة فيه؛ فلا بدع أن يتمكن من القيام بهذه المأثرة العظيمة المجيدة التي قلما يوفق لها الإنسان.

وليس بخاف أن الشيخ قد لقي في هذا السبيل عناءً كبيراً وشقّةً عظيمة، خصوصاً عقب هجمات المحادي عشر من سبتمبر، تلك الهجمات التي في أعقابها أعلن الرئيس جورج بوش حرباً صليبية على الإسلام وأتباعه، فأصبح فيلادلفيا ليلوس المسلمين يؤيد جنسهم... وبمجرد مكالمته ما تفيه أميركية واحدة سقط جنرالنا مشرف صريعاً بوزعت ربحه؛ فحقول - أياً تحول - عن المواقف القومية القديمة تجاه حكومة طالبان وقضية كشمير المحتلة وما إلى ذلك بوتعب المدارس الدينية وجميع الحركات الإسلامية؛ خضوعاً لضغط أميركا، ونزولاً عند رغبتها بفعدات المدارس الدينية في محن ومهلدة باخطار ليست لها بها سابق عهد. ولم يلق رجال الدين من العنت والشدّة في أحط أدوار الفسق والفجور في أحلك عهود المعصية والعُدوان ما لاقوه في هذه الفترة. فكانت هناك هموم توالى ولا تنهي، ومصاعب تتسلسل ولا تنقطع ولكن الشيخ صمد في وجه الحكومة الطاغية ولم يخضع لضغطها. وتصادعت جلة التوتيرين المدارس الدينية والحكومة، وظل الأمر على هذه الحال حتى انتهى إلى خضوع الحكومة للشيخ ورضيت - على مضض - بحل الأزمة بأسلوب سلمي عن طريق المفاوضات. وهناك مأثرة أخرى قام بها فضيلة الشيخ، ألا وهي: تشكيل "اتحاد المنظمات للمدارس